

ان اذكر اسمه ، ولاحدتك عن خدماته لي كشخص غريب عنه تماما — خدمات عربي الى فتى قومي يهودي ، ولا يستطيع ان اهمم هذه الخدمات الا في اطار الانسانية الحقيقية والمعايير الاخلاقية .

في ايام طفولتي ، لسبب او لآخر ، لم ازر مطلقا طبيب اسنان الا لغرض نزع بعض أسناني بأصابع اليدين ، وليس بواسطة اية أدوات مطلقا وكان ذلك في روسيا . الآن تذكرت — زخريا هو اسم طبيب الاسنان العربي الذي اود ان احدثكم عنه . كيف تقفز اسمه دفعة واحدة في مخيلتي ؟ لا ادري . . . عندما كنت في يافا اتعلم في الجننازيوم كان هنالك سن ناتىء من مقدم نمي كثيرا ما انغرس في شفتي وادماها . وفي هذه الاثناء كنت قد نضجت وبدأت اخلق ذقتي لابدو وسيما ، اذ كانت هنالك فتيات يشاركننا مقاعد الدراسة ، اما ذلك السن الناتىء فلم يحفل به أحد من عائلتي — أمي أو جدي أو جدتي — الذين كانوا في غاية اللطف معي ، بيد انهم كانوا يتمنون احيانا بعض الاحاديث عن ترهات وخزعبلات ومعتقدات ينسبونها الى التراث الحضاري اليهودي وتعاليم الديانة اليهودية التي هي في نظري تعاليم اخلاقية جيدة وحتى اليوم اجد ان شجاعة الانياء تفوق حدود تصوري ، بيد انه كان هنالك كثير من المظاهر المتخلفة البالية كهذه التي سارويها على مسامعكم الان . كنت اخطب جدتي قائلا : جدتي ، ماذا سنصنع بهذا السن البارز من مقدم نمي ؟ « فتقول لي : » اذا نزعنا ذلك السن الناتىء ستمدى عيونك وتنز وتصبح اعمى » . وبهذه الطريقة اقتعوني ، فأنا لا اريد ان أفقد عيني . ولكني بعد ان التحقت بالجننازيوم اصبحت مسؤولا عن نفسي ، وكان عمري يومها حوالي خمسة عشر عاما . وكلها وددت ان اخلق ذقتي بشفرة حقيقية ، وتأملت وجهي في المرآة كان ذلك السن الكبير البشع يطل من مقدم نمي وشفتي مشقوقة تحته والدم يسيل منها . وكان أخي في نيويورك يبعث لي ، عادة ، اربعة دولارات او خمسة في الشهر ، وفي كثير من الاشهر كان لا يرسل لي شيئا لانه كان عاطلا عن العمل في معظم الاحيان . فكنت اتردد على المصرف الصهيوني او مصرف الاستيطان اليهودي ايا كان اسمه ، لاستفسر عما اذا كان أخي قد بعث لي اية نقود . وقد رأيت في جوار المصرف يانطة مكتوب عليها : « طبيب أسنان — نتكلم الانكليزية » . وحيث انني

مبغ زهيد عشرة سنتات او عشرين سنتا في رحلة بحرية طويلة في البحر الابيض المتوسط ، خلف الصخور التي لم تكن تسمح لاية باخرة بالاقتراب من الشاطئ اكثر من ميلين او ثلاثة اميال ، فكانوا يعبرون بنا بمراكبهم في الممرات الضيقة بين الصخور . وكان هؤلاء العرب الواسيمون ، الاقوياء ، الفارعو الطول ، هؤلاء البحارة العرب اليافايون يحبسون انفاسهم لبرهة وهم يبتسمون قبل ان يلجوا بنا الى منطقة الصخور ، ومن ثم يضبطون حركة تجديفهم بالعدد ١ ، ٢ ، ٣ ثم ينطلقون بنا في خط مستقيم الى عرض البحر مسافة ميل الى ان نصل الى البواخر حيث كانوا يوزعون علينا هناك اللبس والفواكه . وكان القبطان يحب كثيرا هؤلاء الفتيان ، وكنا جميعا نتيانسا يهودا من الجننازيوم ، وان صديقي العزيز عكيفا غنزيبرغ ، اذا ما زال حيا ، يستطيع ان يشهد بصحة ما اتول ، وكنا نعود من رحلتنا البحرية محملين بالهدايا اي اغنى عشرة اضعاف من الناحية المالية من السنوات العشر او الخمسة عشر التي كنا ندفعها للبحارة . لقد احببنا البحارة كثيرا ، فما من مرة اسأؤوا الينا .

فلماذا نضطهد وننفي ونستولي على بيوت وارضى الناس الذين كانوا يحسنون معاملتنا كأفراد ، وكانوا طوال السنوات الالف او الالف والخمسية الاخيرة من التاريخ هم الوحيدون الذين احتضنوا اليهود بين صفوف ابنائهم ورحبوا بهم بين ظهرانيهم عندما كان اليهود يفرون من الاضطهاد من ديار الى اخرى الى ان استقر بهم المقام في الديار العربية في مصر والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين الخ . . . ولهذا توجه الكثيرون منهم الى فلسطين — طلبا للامان والطبائنة وللنجاة بأرواحهم من المذابح . وانني لا استطيع مغالبة ما يعصر قلبي من مشاعر الاسى كلما قرأت عن اسر عشرة من رجال فتح ، او عن نفس البيوت لانهم اكتشفوا في الاراضي المحتلة ، او في اسرائيل ذاتها ، بعض العرب الذين ساعدوا فدائيي فتح — المقاتلين من اجل التحرير ، وعندها ينتحب قلبي واتساءل ترى كم دفعوا من النقود رشوة للمخبر الذي خان اخوته العرب ؟ اذ من اساليب الصهيونيين المعتمدة رشوة اي شخص يخدم مصالحهم بدفع البقشيش له .

هنالك شيء لن انساه ابدا ، فاسمح لي ان آخذ من وقتك دقيقة او دقيقتين لاحدتك عن طبيب الاسنان العربي الذي لا اذكر اسمه ، مع انه ينبغي علي